

## المدرسة الفيثاغورية.

### 1 / نشأة المدرسة الفيثاغورية:

إن الحديث عن المدرسة الفيثاغورية الفلسفة الفيثاغورية فإننا تنتقل أيضا من أيونيا ومن ملطيا على وجه الخصوص إلى منطقة جنوب إيطاليا التي سميت بعد ذلك " باليونان الكبرى " ، تميزا لها عن اليونان القارية وعن اليونان الأسيوية، فماذا حدث في النصف الثاني من القرن السادس إشتد ضغط الفرس على المدن اليونانية في أيونيا، فاحتلوها في عام ٥٤٦ (واحتل قمبيز ملك فارس مصر سنة ٥٢٥)، وفرضوا حكومات إما أوليجاركية أو حكومات طغاة للحد من المد الديمقراطي. وقد أثر هذا على حالة الفكر، فبدأ كثيرون يرحلون إما إلى اليونان القارية وإما إلى اليونان الكبرى"، ومن هؤلاء فيثاغورس، الذي كان أيوني الأصل. وبذلك فإن الفيثاغورية نسبة إلى فيثاغوراس الذي ولد في جزيرة ساموس ( 581 - 511 ق.م) وغادرها إلى مدينة ملطية ثم فينيقيا التي سرعان ما غادرها متوجها إلى مصر، حيث درس هناك الفلك والمهندسة واللاهوت وانتقل بعدها إلى بلاد بابل حيث تعلم الحساب والموسيقى وتعرف على طقوس المحوس، ومن المرجح أنه تأثر بصوفية كل من المصريين والبابليين. وقد حمل معه هذه العلوم والتأثيرات إلى مدينة (كريتون) الإيطالية حيث استقر، وحيث أسس أول مدرسة فكرية يمكن اعتبارها أول مدرسة وفق الأسس الصوفية - الزهدية

نحن في الواقع لا نعلم كثيرا من الأشياء اليقينية عن فيثاغورس، الذي ربما ابتدأت أسطوره في حياته نفسها، حتى لقد وضع في جنس متوسط بين البشر والآلهة، وقيل إنه كان يحضر في عدة أماكن في نفس الوقت، وإن له فخذا من ذهب، وإنه نزل إلى الجحيم ثم صعد منه ... الخ. ورغم هذا فمن المؤكد أن فيثاغورس عاش بين 580 و 470 ق.م، وأنه هاجر

الى " كروتونا " في " اليونان الكبرى " حوالي عام 538 قرارا من الطاغية بوليكراتيس في ملطيا، وأنه أسس هناك جماعة ذات طابع ديني ، هدفها تطهير النفس للوصول الى الحياة السعيدة بعد الموت، ولهذه الجماعة شروطها الخاصة وقواعدها ومحرماتها (مثل عدم أكل الفول وعدم التحدث في الظلام، وعدم التضحية بالديك... الخ)، وهي في هذا تشبه كثيرا من التجمعات السرية الدينية المسماة بـ " الأورقية ". ولكن الجماعة الفيثاغورية كانت تتميز عن الجماعات الأورفية بأنها أيضا ذات نشاط علمي، وعلى الأخص رياضي، وأنها الجماعات الأورفية بأنها كانت مدت نشاطها من الرياضة الى الفلسفة فمن المحتمل أن: فيثاغورس علم جماعته المذاهب الطبيعية الأيونية وخاصة على طريقة أنكسمانيس الذي يقال إنه كان أستاذه)، ولكن الذي تميزت به المدرسة هو اهتمامها فوق كل شيء بالرياضيات وهناك نظرية معروفة في الهندسة تنسب الى فيثاغورس، حتى انه يمكن القول إن الرياضيات كانت أساس الفلسفة الفيثاغورية. ماذا كان يقول الفيثاغوريون ؟ هناك فيما يبدو فكرتان أساسيتان لديهم فكرة العدد، وفكرة التناسب.

## 2/ الأفكار الكبرى الناظمة للفلسفة الفيثاغورية

**1-2/** اعتقد الفيثاغوريون أن عناصر الأعداد هي عناصر الأشياء وأن العالم عدد. وتجب الإشارة الى أن تصورهم للأعداد كان تصورا هندسيا وليس حسابيا، بمعنى أن العدد واحد كان يقابل النقطة والعدد 2 الخط و 3 المثلث، وهكذا، وهو ما ييسر فهم قولهم إن العالم عدد ، فهذا القول يعنى أن العالم في الحقيقة وفي جوهره انما هو أشكال هندسية، وأن هذه الطبيعة الهندسية أهم من الماء والهوا .... الخ، وأسبق على كل شيء. وهذا يبين أهمية المرحلة الفيثاغورية في تطور العلم اليوناني نحو شكل عقلي فيه قدر أكبر من التجريد. كيف وصل فيثاغورس الى هذا المفهوم الأساسي؟ يبدو أن ذلك تم بملاحظة الأنغام الموسيقية أو الأصوات بصفة عامة، فوجد أن وزن مطرقة الحديد يؤثر على ارتفاع الصوت الناتج عنها

المهم أن فيثاغورس ابتداءً من الأصوات ومن الموسيقى التي تتوقف أنغامها على العلاقات العددية. ولا شك أن الفيثاغوريين طبقوا هذا المبدأ على سائر الأشياء، ليس فقط في العالم الطبيعي، بل كذلك في العالم الأخلاقي والفكري، وهكذا نجد أن الزواج عندهم يمثله الرقم 5 . والرقم 7 هو جوهر الوقت المناسب و 4 و 9 جوهر العدل، أما العقل فيمثله الرقم 1 لأن هذا العدد ثابت باعتباره الوحدة الأولى، أما " الظن " فيمثله الرقم 2 حيث أنه يقبل القسمة، اذن فهو يتحرك ويتغير ... وهكذا.

**2-2/** اعتقد الفيثاغوريون أن هناك تناسب بين الأعداد واتفاق بين أشياء مختلفة، وخاصة بين المحدود واللا محدود، وبين الفردي والزوجي والواحد والمتعدد، واليمين واليسار، والذكر والأنثى، والثابت والمتحرك، والمستقيم والمنحني، والنور والظلمة، والخير والشر، والمربع والمستطيل وهذا هو جدول المتضادات العشرة الفيثاغورية الشهيرة لأن الرقم 10 هو أكمل الأعداد. وقد طبقوا نظرية التناسب والتوافق هذه على النفس والصحة فذهبوا إلى أن النفس ما هي إلا توافق بين الأضداد في الجسم. وشبهوا الجسم بالقيثارة، ومحل التعارض بين الحاد والغليظ في حالة الأصوات أحلوا التعارض بين الدافئ والبارد، فالصحة هي حسن التوافق بين عناصر الجسم، أما الموت فهو انتهاء العلاقة بينهما أي انتهاء التوتر، وتجدد الإشارة إلى أن طبيباً فيثاغورثاً مشهوراً هو " القيمون الكروتوني " كان من أوائل من ذهبوا إلى أن مركز الحياة العقلية هو الدماغ وليس القلب، ويقال أيضاً أن " يوليقرطيس "، وكان مثلاً مشهوراً، طبق المفاهيم الفيثاغورية على دراسة الجسم الإنساني وعلى علاقة العظام والأطراف بعضها ببعض.

**2-3/ الأخلاق الفيثاغورية:** ينسب إلى فيثاغورس أنه أول من استخدم كلمة " فيلوسوفيا "، أي محبة الحكمة. أو الجهد من أجل الوصول إلى الحكمة، وينبغي أن نفهم الحكمة هنا بكل معانيها. حيث يختلط فيها النظر بالعمل، فليس الحكيم هو من يعرف أشياء كثيرة فقط،

بل هو أيضا من يسلك السلوك الحكيم. وهنا فإننا نضع أيدينا على فكرة أساسية للفيثاغورية شاركت في جعل تأثيرها يستمر خلال كل عصور الحضارة اليونانية وفي الحضارة المسيحية بل وكذلك في الحضارة الإسلامية، ألا وهي أن العلم الماء هو في النهاية أداة لتطهير النفس حينما تصل هذه الى الحقيقة. وهكذا فإن الفيثاغورية مذهب علمي في الرياضيات ومذهب فلسفي ومذهب أخلاقي كذلك يقوم على نوع من التصوف العقلي ومن قواعد سلوك أعضاء الجماعة امتحان الضمير " اليومي، فكل مساء كان على العضو أن يسأل نفسه أن يحدد برنامج يومه. ومن القواعد الأخلاقية التي كانوا يملونها على أتباعهم:

1/ احترام الآلهة والخضوع لإرادتهم.

2/ البقاء في المركز الذي نحن فيه في الحياة وعدم تركه.

3/ الولاء للأصدقاء وكل شيء مشترك بينهم.

4/ الاعتدال والبساطة في استخدام خيرات الدنيا.

ونرى من كل هذا الطابع الديني الواضح للفيثاغورية وهذه الجماعة سياسية أيضا، إذ امتلكت ناصية الحكم في كروتونا لعدة سنوات وفي مدن غيرها، وكانوا يمثلون اتجاهها مضادا للديمقراطية، غير أن ثورة قامت ضدهم وأحرقت المنزل الذي كانوا يجتمعون فيه، فأبادتهم عن آخرهم الا إثنين هربا من المدينة، وعن طريقهما بقى المذهب قائما حتى وقت متأخر من التاريخ، حيث نرى " الفيثاغورية المحدثه " تقوم مرة أخرى في القرن الأول الميلادي، لتستمر حياة المذهب من بعد هذا لفترة طويلة.